شرح أصول السنة

لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

رحمه الله تعالى

١٦٤ - ٢٤١ هـ

لِفَضيلة الشَّيْخِ:

د. سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

المجلس (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فأسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بأسمائِهِ الحُسنى، وصفاتِهِ العُلا، أن يزيدَ أُمةَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عددا، وأن يُكسبها قوةً وهيبة، وأن يُحييها بالتوحيدِ وَالسُّنّة، وأن يجمعَ كلمتها على ذلك.

معاشر الفُضلاء، نواصلُ اجتمعنا على أمرٍ عظيم، حيثُ نشرحُ رسالةَ أصولِ السُّنّة لإمامِ أَهْل السُّنَّة، فِي مسجدِ نبي السُّنّة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الرسالةُ العظيمة التي ينبغي على المؤمنينَ أن يُعظموها وأن يفهموها، وأن يُظهروها؛ فإن فيها أصولَ السُّنّة.

وما أحوجَ الأُمة إلى أن تتمسكَ بأصولِ السُّنّة، وأصول السُّنّةِ هذه التي بين أيدينا هي عقيدةٌ يُعقدُ عَلَيْهَا القلب، ويظهرُ أثرُها فِي الأعمال، وهي علامةٌ لأهل السُّنّة، فلا يُقالُ للرجُلِّ إنه سُنيٌ أو مِنْ أهلِ السُّنّة إلا إذا اجتمعت فيهِ هذه الأصول.

أما إن خالفَ فيها أو فِي بعضِها أو فِي واحدٍ منها، أو عابَ مَنْ أظهرها، أو استهزأ بِمَنْ يُظهرُها؛ فإنه خارجٌ عن أهلِ السُّنّة، ليس مِنْ أَهْلِ السُّنَّة.

وقد تقدمَ شرحُ بعضِ هذه الرسالةِ الجليلةِ العظيمةِ المُفيدة، وَفِي هذا المجلس سنواصلُ شرحَ ما تبقى منها؛ فإن تمكنا مِنْ إنهاءِ الشرحِ قبلَ المغرب ختمنا بإذنِ الله، وإن لم نتمكن وبقيَ شيءٌ فإنا إن شاء اللهُ بعدَ المغرب ننتقلُ إلى كُرسي الشيخ عبد المحسن العباد حفظهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لنُتمَ الشرح.

وقد طلبتُ مِنْ الإخوةِ القائمينَ على التدريس أو تُجهزَ تلك الحلقة احتياطًا حتى لا نستعجلَ فِي الشرح بما قد يُخلُ بالمقصود، فنواصلُ شرحَ هذه الرسالة العظيمة التي ندعو المُسلمينَ جميعًا إلى معرفتها، والعلمِ

بها، وفهمِها، وتحقيقها فِي أنفُسِهم، ودعوةِ مَنْ يعرفونَ إليها، فإن ذلك مِنْ أعظم الواجبات المتحتمات والفروضِ اللازمات، فيتفضل الابن نورُ الدين وفقهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا مِنْ حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياءِ والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمّا بَعْدُ؛ فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي رسالةِ أصول السنة: وَالْقُرْآن كَلَامُ الله وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

وَلَا يَضْعُفُ أَنْ يَقُولَ: القُرآنُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

قال: وَإِيَّاك وَمُنَاظَرَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ وَقَفَ فِيهِ، فَقَالَ لَا أَدْرِي أَمَخْلُوقٌ أَو لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ؛ فهوَ صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول اللازمة التي جاءت بها السنة وماتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ جميعًا، مِنْ أولِهم مِنْ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى مَنْ تلاهم مِنْ الأئمة العِظام، الكِرام، مِنْ تلكَ الأصول: أن القُرآنَ جَمِيعَهُ كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مخلوق، وأنَ اللهَ سُبْحَانَهُ يتكلمُ متى شاء، بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكلامٍ حقيقي يُسمعُ، والكلامُ الذي يُسمع له حرفٌ وصوت.

هذه عقيدةُ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وإنا مُصدقونَ لربنا، وإنا مؤمنونَ بما قال ربُنا، وإنا لمعتقدونَ اعتقادًا جازمًا ما قاله ربنا، واللهِ إن ربنا قد كلمَ موسى عَلَيْهِ السلام بكلامٍ سمعهُ موسى عَلَيْهِ السلام، فله حرفٌ وله صوت، وأكد اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلك بقولهِ: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

وقال سُبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فالذي كلمَ موسى هو ربهُ هو ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأضافَ الكلامَ إليه سُبحانه، وجعلهُ مِنْ صفته فهو ليسَ مخلوقًا يقينا، بل هو صفةٌ لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وروى الطبريُ في صريح السُّنّة عن عمرو بن دينارٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه قال: (أدركتُ مشايخنا منذُ سبعينَ سنة يقولون: القُرآنُ كلامُ الله منهُ بدأ، وإليه يعود).

والإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: (القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، على كُلِّ جهة، وعلى كُلِّ وجهٍ تصرف، وعلى أي حالٍ كان، لا يكونُ مخلوقًا أبدًا. فإذا تلاهُ التالي فهو كلامُ الله، وإذا سمعهُ السامع فهو كلامُ الله، وإذا كتبهُ الكاتب فهو كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦])، وهو سيسمعهُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَ هذا المسموعَ وهذا الملفوظَ، وهذا المكتوبَ كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بلا شك.

قال الإمامُ أحمد: (ولم يقل: حتى يسمعَ كلامكَ يا محمد).

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ فِي الصَّلَاة: «لا يصلحُ فيها شيءٌ مِنْ كلامِ النَّاس»، ونحنُ نقرأُ القُرآنَ فِي الصَّلَاةِ وجوبًا فِي الفاتحة، واستحبابًا فِي السورةِ أو ما يتلو الفاتحة مما تيسرت قراءته.

فالقُرآنُ كلامُ الله ليسَ كلام النَّاس. والواجبُ على المؤمن أن يعتقدَ هذا اعتقادًا جازمًا، وأن يقول: **(القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)** مُراغمةً لأهل البِدع الذين يقولون: القُرآنُ مخلوق.

ويجبُ على المؤمن أن يحذرَ حذرًا شديدًا مِنْ مقولة: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق) فإن هذا ليس مِنْ كلامِ السلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وإنما أحدثهُ أهلُ البدع لما حدثت الفتنة بالقول بخلق القُرآن، أحدثَ بعضُ أهل البدع مُفرعًا على هذه الفتنة القول: (بأن لفظي بالقُرآن مخلوق) ليتسترَ به أهلُ البدع، ولاسيما بعدما كُسرت شوكةُ القائلين: إن القُرآنَ مخلوق. فلما كُسرت هذه الشوكة ونصرَ الخليفةُ المتوكل السُّنّة والقولَ بأن (القُرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)، احتاجَ أهلُ البدع أن يتستروا بعقيدته، فتستروا بهذه المقولة: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق).

جاء فِي طبقات الحنابلة عن أبي الحارثِ أن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ، سُئِلَ عن قول الكرابيسي وأنه يقول: (لفظي بالقُرآنِ مخلوق)، فقال: هذا قولُ جهمٍ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦])، فممن يسمعُ كلام الله؟ إنما يسمعهُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاشر الفضلاء، إن قولَ القائل: لفظي بالقُرآنِ مخلوق يحتملُ أن يكونَ مقصودهُ بلفظهِ الملفوظَ والمسموعَ والمكتوب، وهذا هو كلامُ الله، فتكونُ حقيقةُ جُملتهِ أن يقول: القُرآنُ مخلوق.

لكن يتسترُ بالعبارة، وإلا فالمعنى هو المعنى.

وهذا مقصودُ قائليه فِي زمن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، ولذلكَ ذكرَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه فِي بعض الرواياتِ عن الإمامِ أحمد رَحِمَهُ اللهُ قال: (مَنْ قال: لفظي بالقُرآن، يقصدُ به القُرآن فهو جهمي).

ويحتمل أن يكونَ المقصودُ باللفظِ حركةَ اللسان، والصوت الذي يُسمع، ولا شك أن هذا مخلوق، فإن الإنسانَ وفعلهُ وصوتهُ مخلوق.

ولما كان هذا كهذا، فإن السلف ينهونَ عن أن يقولَ الإنسانُ: لفظي بالقُرآن مخلوق. وأن يقول: لفظي بالقُرآن غيرُ مخلوق. ينهونَ عن هذا وعن هذا؛ لأنه فِي الحالتين يحتمل، فِي الحالتين يحتمل، وكان أهلُ البِدع يقصدونَ به فِي قولهم: لفظي بالقُرآن مخلوق: القُرآن. فهو ستارٌ لأهل البدع، وستارُ أهل البِدع يجبُ كشفه، واجتنابه.

ومن وجهٍ آخر: أن هذا قد يُلبسُ على النَّاس، قد يكون مقصودُ الإنسانِ صحيحًا لكنَ الذي يسمعه قد يفهمُ شيئًا آخر.

ومن وجهٍ ثالث: أن هذا لم يُعهد عن السلف، إلا فِي الردِ على المبتدعة القائلين: لفظي بالقُرآنِ مخلوق.

الكلامُ عن اللفظِ فِي هذا المقام لم يُعهد عن السلف، لا فِي باب الإثبات ولا فِي بابِ النفي.

➤**فالواجبُ على المؤمن: أن يجتنبَ هذا القولَ مُطلقًا.**

حتى وردَ عن الإمامِ أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّه قال: (مَنْ قال: لفظي بالقُرآن مخلوق فهو جهمي، وَمَنْ قال: لفظي بالقُرآن غيرُ مخلوق فهو مبتدع) خالفَ طريق السلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم فِي هذا الباب.

ولا يضعفُ المؤمن عن أن يقولَ: (القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق)، ولا يترددُ فِي ذلك ولا يشك، ولا يقف، فلا يقولُ: أنا أقول: القُرآنُ كلامُ الله. وأسكت. ولا أقول: غير مخلوق؛ لأن هذا فِي الحقيقة إنما نشأَ شكًا، لما لبس المعتزلة تلبيساتهم على النَّاس شكَ بعضُ النَّاس، فقالوا: إذًا ما نقول مخلوق ولا غير مخلوق، نقول: القُرآن كلامُ الله.

والشكُ فِي هذا المقام لا يجوز، والتزامُ ألفاظ السلف واجب، ونُصرةُ أهلِ الحَقِّ عزيمة.

☚الشكُ فِي العقيدة لا يجوز، والتزامُ ألفاظ السَلف واجب، فرض، ونُصرةُ أهل الحَق عزيمة.

والواقفة قد ذمهم السلفُ كثيرًا، قال الخلال: أخبرنا الحسنُ بن ثوابٍ أَنَّه قال لأبي عبد الله أحمدَ بن حنبل، الواقفة؟ قال: هم شرٌ مِنْ الجهمية، استتروا بالوقف.

طبعًا يا إخوة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ألزمُوا بقول: (غير مخلوق) فِي جملة (القُرآنُ كلامُ الله) لما أحدث المبتدعة القولَ الخبيثَ المُبتدع الذي هو كُفر فِي الحقيقة، حيثُ قالوا: القُرآن مخلوق. فلما أحدثوا هذا القولَ الخبيث الكُفري، ألزمَ السلف وأئمة السلف بقول: (غير مخلوق) مُراغمةً لأهل البدع وإظهارًا لقولِ أهل الحق.

ولذلك قال أبو داود رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ أحمدَ سُئل: هل لهم رُخصة أن يقولَ الرجل: كلامُ الله. ثم يسكت؟ فقال: ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقعَ فيهِ النَّاس كان يسعهُ السكوت.

لولا هذه البدعة الخبيثة كان يسعهُ السكوت، ولكن حيثُ تكلموا فيما تكلموا، لأي شيءٍ لا يتكلمون.

وخذها قاعدة يا طالب العلم: لا تضعف عن كلامِ أَهْل السُّنَّة فِي زمنك، فأظهر كلامَ أَهْل السُّنَّة، وتكلم بكلامِ أَهْل السُّنَّة؛ فإن هذا مِنْ علامات السُّنّة أن يُدندنَ الرجلَ بكلامه بألفاظَ أئمة أَهْل السُّنَّة فِي زمانه، وألا يضعفَ عن هذا الأمر، وقد تقدمَ معنا أن السُنيَ يقولُ بما فِي النصوص، ويعتقدُ ما فِي النصوص، ويدعو النَّاسَ إلى الحَقّ بالنصوص، ولا يخوضُ فِي طُرقِ أهل البِدع فإنها ليست طريقًا صحيحة، وإنما يسلكُ طريقَ أئمةِ أَهْل السُّنَّة.

وقد تقدمَ مرارًا أن السُنيَ لا يُخاصمُ فِي دينه، ولا يُجادلُ فِي دينه، ولا يُناظرُ فِي دينه؛ فإنه على يقينٍ مِنْ دينه، فيعرضُ الحَقَّ على النَّاسِ بالحق، يعرضُ السُّنّة بالقُرآن وَالسُّنّة وكلام السلف رِضْوَانُ اللّٰه عَلَيْهِم.

➤**ولا يُجادلُ أهلَ الأهواء بطُرقِهم، ولا يُناظرُ أهل الأهواء؛ فإن مناظرة أهل الأهواء لا تنفعهُ**؛ لأنك إن ناظرته بما تعتقدهُ مِنْ أدلة، فإنهم لا يعتقدونها، وإن ناظرتهم بطرقِهم فإنكَ قد لا تُحسنُها؛ فيكونُ جدالك لهم بطُرقهم عائدًا عليكَ بالضرر، وعائدًا على الدينِ بالضرر، وعائدًا على النَّاسِ بالضرر.

إذًا أهلُ البِدع لا يُناظرون، ولا يُجادلون، السُني يُظهرُ لهم السُّنّة ويدللُ على السُّنّةِ، ثم لا يدخلُ معهم فِي طُرقهم.

وهناكَ ملمحٌ آخر: وهو الحفاظُ على هيبة السُّنّة، والحفاظُ على عِزة السُّنّة؛ فإنكَ إن ناظرتَ أهلَ الأهواء بطرقهم أضعفت هذه الهيبة، وقد ترفعُ أهل البدع.

وأُنبهُ هنا إلى أَنَّه فِي زماننا ظهرَ صِغارٌ لا قيمةَ لهم، يُخالفونَ أصولَ السُّنّة أو بعضها، فينبري بعضُ الفُضلاءِ إلى مُجادلتهم، وهذا خطأٌ؛ فإن مجادلتهم رفعٌ لشأنِهم، وهم لا شيء، فلا ينبغي أن يُناظروا، ولا أن يُجادلوا، بل جوابُ السفيهِ أن تسكتَ، الذي يقتل السفيه أن تسكت عنه، هو يتكلم لأنه يراكَ فِي مكانٍ عالٍ أو ما تعتقدهُ فِي مكانٍ عالٍ، فيُريد أن تتكلمَ عَلَيْهِ ليراهُ النَّاس فِي ذاكَ المكان عندك، حتى يشتهر ويُعرف ويُقال: فلان وفلان.

فمن حكمِ منع السلف مِنْ مُناظرةِ أهل البِدع: ألا يُرفعَ أهل البدع، وإلا يُرفعَ طريقهم، وأن تُحفظَ هيبةُ السُّنّة، وهيبةُ أَهْل السُّنَّة.

ولكن مَنْ اضطرَ إلى مناظرتِهم مِنْ العلماء المتمكنين لنُصرة الحَقِّ ونُصرة أهلِ الحَقِّ؛ فإنه يُناظرهم فِي مكانِهم، لا ينُاظرهم علنًا؛ فإن هذا قد يُشربُ قلوبَ النَّاس الفتنة، وإنما يُناظرهم فِي مكانهم، كَمَا فعلَ ابنُ عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا مع الخوارج، والمناظرةُ غيرُ الرَدِ؛ فإن المناظرةَ مُقابلة، وأما الردُ عليهم وكَسرُ ما يُظهرونه للناس؛ فهذا للعلماء المتمكنين كَمَا فعلَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ ردَ كلامَ أهلِ البِدع، وكما فعلَ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ ردَ كلام أهل البِدع.

إذًا يا عبد الله لا تُناظر أحدًا ولا تُخاصم أحدًا فِي كون القُرآنِ كلامَ الله غيرَ مخلوق، وكلامُ الله بدأَ مِنْ الله، فهو ليسَ بائنًا منهُ وعنه.

لأن أهل البدع يقولون: هو بائنٌ عنهُ، فبدأ مِنْ المخلوق ولم يبدأ مِنْ الله، وهذا ضلالٌ مُبين وكُفر.

فالقُرآنُ بدأَ مِنْ الله، وسمعهُ جبريلُ عَلَيْهِ السلام مِنْ الله، وليسَ مِنْ اللهِ شيءٌ مخلوق، بل هو صفةٌ مِنْ صفات الله، أعني: كلامَ الله، وصفةُ اللهِ ليست مخلوقةً يقينا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَة كَمَا رُوِيَ عَن النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم من الْأَحَادِيث الصِّحَاح.

(الشرح)

نعم، أي مِنْ السُّنّةِ اللازمة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ولا يكونُ الرجلُ سُنيًا إلا إذا آمنَ بها: الإيمانُ برؤيةِ المؤمنينَ ربهم يومَ القيامة، وَفِي الجنة بالأبصار، رؤيةً حقيقية، لكنَ الأبصارَ لا تُحيطُ بالله، تراهُ ولا تُحيطُ به.

هذا الإيمان عقيدةُ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢١ - ٢٣]؛ فهي تنظرُ إلى ربها يومَ القيامة.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونَ ربكم كَمَا ترونَ القمر لا تُضَامُونَ -أو تضامونَ- فِي رؤيتِهِ» كَمَا فِي الصحيحين. النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ ذلك فِي ليلةٍ قمرية، فِي ليلة البدر حيثُ كان الصحابة يرونَ البدرَ فأخبرهم بذلكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونهُ عِيانًا» كَمَا عند البخاري فِي الصحيح، أي سترونهُ بأعينكم، ورؤية العيون رؤيةٌ حقيقة.

وقد روى مسلمٌ فِي صحيحهِ عن صُهيبٍ الرومي: أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنة» اللّهمَ اجعلنا منهم يا رب العالمين (آمين). «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنة؛ يقولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُريدونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا، ألم تُدخلنا الجنة وتُنجنا مِنْ النار». قال: «فيكشفُ الحِجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَ إليهم مِنْ النَظرِ إلىٰ ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ». أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم ووالدينا وَمَنْ نُحب ممن يتنعمونَ برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رحمة الله عَلَيْهِ: وَأَن النَّبِيَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رأىٰ ربه؛ فَإِنَّهُ مأثورٌ عَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم صَحِيح، قد رَوَاهُ قَتَادَةُ عَن عِكْرِمَةَ عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ الحكم بن أبان عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ عَليّ بن زيد عَن يُوسُف بن مِهْرَانَ عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ

عَنْهُمَا، والْحَدِيثُ عندنَا علىٰ ظَاهره كَمَا جَاءَ عَن النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدعَة، وَلَكِن نُؤمنُ بِهِ كَمَا جَاءَ علىٰ ظَاهره وَلَا يُناظر فِيهِ أحدًا.

(الشرح)

نعم، هذه مسألة مهمة، وهي: هل رأى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه فِي ليلة المِعراج عندما عُرِجَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

☚ **قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: اتفقَ أئمةُ المسلمين، على أن أحدًا مِنْ المؤمنين لا يرى اللهَ بعينهِ في الدنيا، إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

إذًا عندنا شيء محل اتفاق، وشيء وقع فيه خلاف.

أما محلُ اتفاق: فهو أَنَّه ليسَ لأحدٍ مِنْ النَّاس فِي الدنيا أن يرى الله بعينهِ.

وَمَنْ زعمَ أَنَّه أو أن شيخهُ رأى اللهَ بعينه، فهو كذابٌ أشر، مِنْ الدجاجلة.

والنقطة التي وقعَ فيها الخلاف: هل رأى أشرفُ البَشر وسيدُ البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَهُ؟

قال الشيخ: إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، مع أن جماهيرَ الأُمة على أَنَّه لم يرهُ بعينهِ فِي الدنيا.

وعلى هذا دلت الآثارُ الصحيحةُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابة، وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ولا عن الإمامِ أحمدَ وأمثالها: أنهم قالوا: إنَ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينهِ.

نعم، لم يأتِ قط عن واحدٍ مِنْ الصحابة، ولا عن واحدٍ مِنْ الأئمة، كالإمامِ أحمد أَنَّه قال: إن الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينه، أبدًا، حتى فِي هذه القطعة التي معنا، قال: (بل الثابتُ عنهم: إما إطلاقُ الرؤية) يعني مِنْ غير قيد، يقول: رأى ربهُ. (وإما تقييدُ الرؤيةِ بالفؤاد) أي أنهم يقولون: رأى ربهُ بفؤادهِ، بقلبهِ.

(وليسَ فِي شيءٍ مِنْ أحاديث المِعراج الثابتة أَنَّه رآهُ بعينهِ). هذا كلامُ الشيخ فِي تحقيقِ المسألة.

فلننظر إليها، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعلموا أَنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربهُ عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت» رواهُ مُسلم.

«تعلموا أَنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربهُ عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت»، **فأفادنا هذا فائدتين:**

الفائدة الأولى: أن مِنْ اليقين والعِلم أَنَّه لن يرى أحدٌ ربهُ بعينهِ فِي الدنيا.

والفائدة الثانية: أَنَّه سيرى ربه يوم القيامة.

ومعنى: «تعلموا» اعلموا وتيقنوا وعلموا. فهذا فصلُ الخِطابِ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

☚ **وقد اتفقَ أئمةُ المسلمين على هذا.**

وأما رؤيةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، فقد جاءَ عن أبي ذرٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أَنَّه قال: سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيتَ ربك؟ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نورٌ أنىٰ أراه» رواهُ مُسلمٌ فِي الصحيح.

هذا سؤال، سؤال مُباشر واضح: هل رأيتَ ربك؟

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نور»، حجابهُ النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «أنىٰ أراه»، وأنى فِي لغة العرب للبُعدِ والاستبعاد.

وجاءَ عن أُمنا عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا، وهي زوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنها قالت: «مَنْ حدثكَ أن محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربهُ فقد كذب» رواه البخاري فِي الصحيح.

ومعنى: «فقد كذب» عند السلف فقد أخطأ.

فـ«من حدثكَ أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربهُ فقد كذب» أي أخطأَ.

ولا شكَ أَنَّه ثبتَ عن ابنِ عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا بُطرقٍ ذكرَ الشيخُ الإمام أحمد بعضها، أَنَّه سُئِلَ: هل رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربهُ؟ فقال: نعم.

فقال ابن عباس: إن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ.

لكن ما مقصودهُ بهذا؟ هو ما قال رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وعن أبيه: رأى ربهُ بعينهِ. قال: رأى ربهُ.

وأولى مَنْ يُفسرُ كلامَ الإنسان الإنسانُ نفسهُ. إذا أردتَ أن تُفسرَ كلامَ رجل، فانظر إلى كلامه، فإن وجدتَ تفسيرَ كلامهِ؛ فهو أولى ما يُرجعُ إليه.

جاءَ عند مُسلمٍ فِي الصحيح، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه قال: «رآهُ بفؤادهِ مرتين».

☚**إذًا مقصود ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا برؤيةِ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، أَنَّه قد رآهُ بفؤاده. وهذا لا إشكالَ فيه.**

وعلى هذا أيضًا يُحملُ كلام الإمام أحمد، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللهُ إنما استدلَ بكلام ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، فيرجعُ إلى كلامه.

والأمر الثاني: أَنَّه لم يأتِ عن الإمام أحمد قط أَنَّه قال: رآهُ بعينِهِ.

قال المروزي -أحدُ تلاميذ الإمام أحمد-: قُلْتُ لأبي عبد الله: إن قومًا يقولون: إن عائشةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَنْ زعمَ أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظمَ الفِرية»، فبأيِ شيءٍ تدفعُ قولَ عائشة؟

يعني لأن الإمام أحمد يقول: رأى ربهُ.

فقال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بقولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتُ ربي».

وقولُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبرُ مِنْ قولِها.

وقد فُسرَ قول الإمام أحمد بأنه رآهُ بفؤادِهِ أو رؤيا منام. وقد جاءَ هذا صريحًا عن الإمام أحمد، ففي رواية حنبل: قُلْتُ لأبي عبد الله: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه؟ قال: رؤيا حُلُم رآهُ بقلبِهِ.

وقال الأثرم: قُلْتُ لأبي عبد الله: إلى أي شيءٍ تذهب؟ -يعني فِي هذه المسألة-.

قال الأعمشُ عن زياد عن بن الحُصين عن أبي العالية، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأىٰ محمدٌ ربه بقلبِهِ».

فهذه رواياتٌ صريحة مِنْ الإمام أحمد تُفسرُ قولهُ.

❍**إذًا نقول:** لم يأتِ فِي النصوص، ولا عن أحدٍ مِنْ السلف أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينه، وإنما الذي جاء مُفسرًا مفصلًا: أَنَّه رآهُ فِي المنام أو رآهُ بفؤادِهِ، بقلبه. وهذا الأمر ظاهرٌ بحمد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَان بالميزانِ يَوْم الْقِيَامَة كَمَا جَاءَ: «يُوزنُ العَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَة فَلَا يَزنُ جنَاحَ بعوضة» ويوزن العبدُ وأَعمال الْعباد -كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر-، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ والإعراضُ عَن من ردَ ذَلِك وَتركُ مجادلته.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول السُّنية الشريفة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة ومنبعها مِنْ سُنةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ماتَ عَلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفقت كلمةُ أَهْل السُّنَّة عَلَيْهَا، وعلى أَنَّه لا يكونُ سُنيًّا إلا مَنْ أتى بها: **الإيمانُ بالميزان فِي يوم القيامة، وأنه ميزانٌ حقيقي، له كِفتانِ ولسان.**

قال ابنُ حَجر رَحِمَهُ اللهُ: قال أبو إسحاقٍ الزجاج: أجمعَ أَهْل السُّنَّة على الإيمانِ بالميزان، وأنَ أعمالَ العبادِ توزنُ يومَ القيامة، وأن الميزانَ له لسانٌ وكِفتان، ويميلُ بالأعمال، قال تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَق﴾ [الأعراف: ٨]، وقال سُبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فدلت هذه الآياتُ العظيمة مع إجماعِ السَّلَف على الميزان.

وَفِي صحيح البخاري، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كلمتانِ حبيبتانِ إلىٰ الرحمن، خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ فِي الميزان: سبحان اللهِ وبحمدهِ، سبحان الله العظيم**». فهذا يُثبت الميزان، وأن الأعمالَ توزنُ فيهِ.

وعن أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطهورُ شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان**» رواهُ مُسلمٌ فِي الصحيح.

وما الذي يوزنُ فِي هذا الميزان؟

دلت الأدلةُ الصحيحةُ الصريحة على أن الأعمالَ نفسها توزن، كَمَا تقدمَ معنا قبلَ لحظة، وعلى أن العامِلَ نفسهُ يوزن، لكنَ الوزنَ ليسَ بالجسم، وإنما بما اكتسبهُ الجِسمُ مِنْ الخيرات والأعمال الصالحة؛ نعم، إن

العاملينَ سيوزنونَ فِي الميزانِ يومَ القيامة، لكن لن يثقلَ المتينُ السَمين، ويخفَ الرفيعُ الدقيق، وإنما القضيةُ قضيةُ ثقل الصلاح الذي يكونُ عَلَيْهِ صاحبُ هذا الجِسم.

☚ولذلك مِنْ رشيقِ الكلام، قولُ بعض العلماء: المؤمنُ الصالح خفيفٌ فِي الجنازةِ، ثقيلٌ فِي الميزان.

المؤمن الصالح إذا حُمل على النعش إلى قبره، يجدهُ حاملوهُ خفيفًا، يكادون يطيرونَ به، وهذا المؤمن يكونُ ثقيلًا فِي الميزان.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة، لا يزنُ عند اللهِ جناحَ بعوضة، ويؤتىٰ بالرَجُلِ النحيفِ الضعيفِ دقيق الساقين فإذا به يزنُ الجِبال**» رواهُ الإمام أحمد.

وجاءَ أن الصحابيَ الجليلَ المُقرئ الفقيهَ ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، كان يجتني سواكًا مِنْ أراك، -يعني مِنْ شجرة أراك-، للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يُتحف النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسواك؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحب السواك، فمن السُّنّة أن يُحب المؤمن السواك، وقد أدركنا مشايخنا لا يُفارقهم السواك.

مِنْ لطيفِ ما سمعتهُ مِنْ الشيخ الأقصير رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رحمةً واسعة، وجزاهُ خيرًا عن أَهْل السُّنَّة، يقول لطُلابه، وما ألطفَ معاملتهِ لطُلابه، يقول: هل رأيتموني مرةً داخلًا هذا المسجد وليسَ معي سواك؟

يسألهم، يقول: هل رأيتموني مرة دخلت المسجد ليسَ معي سواك؟

السُّني يُحب السواك؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبهُ، ويستعملُ السواك؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعملُ السواك.

قُلتُ هذا عرضًا مِنْ باب حث الإخوة على العناية بهذه السُّنّة، وإلا هذا ليس مِنْ الأصول، لكنها سُنة يَشرفُ الإنسانُ بها.

الشاهدُ: أن ابنَ مسعودٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه كان يجتني سواكًا مِنْ أراك للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت الريحُ تكفؤهُ -يعني تُحركه-، النحيف الهواء والريح الشديدة تُحركه.

مِنْ لطيف ما أذكرهُ مِنْ باب تخفيف الكلام: عندما كُنتُ فِي الكُلية كان وزني أربعةً وخمسينَ كيلو، فكانَ أحدُ الزملاء يقول: والله يا سُليمان إذا جاءت ريح أني أنظر فوق أبحث عنك.

فابن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، كانت الريحُ تكفؤهُ، وكان فِي ساقيهِ دِقة، فضحكَ أصحابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: ما يُضحكم؟ قالوا: لدقةِ ساقهِ.

ضعيف، نحيف. ما قالوهُ سبًا ولا ذمًا، حاشاهم، لكن أضحكهم هذا.

فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، لهو أثقلُ فِي الميزانِ مِنْ أُحد» رواهُ أحمد.

وتوزنُ الصحائف التي تُكتبُ فيها الأعمال مِنْ خيرٍ أو شر، كَمَا فِي حديث السجلات الذي عند الترمذي بإسنادٍ صحيح.

فهذه كلها توزن كَمَا دلت عَلَيْهِ الأدلة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُكلمُ الْعبادَ يَوْمَ الْقِيَامَة لَيْسَ بَينهم وَبَينه تُرجمان، والإيمانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أهلُ السُّنّة ويلزمُ المُسلمَ أن يعتقدها، وأن يؤمنَ بها: الإيمانُ بأن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ العِبادَ يومَ القيامة ليسَ بينهُ وبينهم تُرجمان، -تَرجُمان، تَرجَمان- ثلاث لغات، أجودها وأصرحُها: تَرجُمان، بفتح التاء وضم الجيم (تَرجُمان).

يعني لو قال الإنسان: (تَرجُمان) فهو صحيح، وهذا الأفصح، ولو قال: تُرجُمان، فهذا صحيح. ولو قال: تَرجَمان، ففتحَ التاء والجيم، فهذا صحيح.

والتُرجُمان هو الذي يُعبرُ عن المعنى.

الآن يا إخوة لو جاء شخص بريطاني مثلًا، يُريد أن يُكلمني، وهو يتكلم الإنجليزية، وأنا لا أعرفُ مِنْ الإنجليزية يعني شيئًا يُذكر، والذي نعرفهُ أحيانًا نُخطئ فِيه. مرةً كُنت فِي فندق، وللأسف فِي بلد عربي، لكن لا يتكلمون فِي الفندق إلا الإنجليزية، فجئتُ أُريد الخروج مِنْ الفندق، يعني ما أعرف كيف أقول له، فأسمع أنا، فأقول له: checken up، أسمع النَّاس يقولون: check up. فأنا أقول له: checken up، فرأيتهُ يضحك، فعرفت أني أخطأت.

الشاهد: جاء يُريد أن يُكلمني، لَا بُدَّ أن يكون هناك تُرجُمان بيني وبينهُ.

الله عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ العِباد يوم القيامة، يُكلمُ عبدهُ ليسَ بينه وبينه تُرجُمان. اللهُ أكبر، ما أعظمها يا إخوة، ما أعظمها، والله لو آمنا بهذا حَقَّ الإيمان لاستحيينا أن نعملَ السيئات. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يومَ القيامة سيُكلمُني أنا العبد بأعمالي، كيف لا أستحي مِنْ ربي أن يكونَ مِنْ أعمالي ما يُغضبهُ!

لكنا نغفل، نؤمن لكن نغفل. فجميل يا إخوة أن نُذكر أنفسنا دائمًا بهذا، إذا تزينت لكَ المعصية، وتيسرت لك، وضعفت النفس، وجاءَ الشيطان يدفعُكَ إليها، فذكر نفسك، قُل: أنا سأقفُ بين يدي الله، وسيُكلمُني الله عَزَّ وَجَلَّ، فهل يُعجبُني أن يعرضَ عليَّ هذا؟ وأن يقولَ لي هذا؟

لا شكَ أنكَ ستقول: لا.

فهذا مما يُعين المؤمن على السلامة مِنْ المعاصي.

وقد جاء فِي حديث عدي بن حاتمٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أَنَّه قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم مِنْ أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربه، ليسَ بينهُ وبينهُ تَرجُمان، فينظرُ أيمنَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظرُ أشأمَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظرُ بينَ يديه فلا يرىٰ إلا النار، فاتقوا النارَ ولو بشقِ تمرة» مُتفقٌ عَلَيْهِ.

قال أبو بكرٍ الخلال: أخبرني عليُّ بن عيسى، أن حنبلًا حدثهم، قال: قُلْتُ لأبي عبد الله: اللهُ يُكلمُ عبدهُ يومَ القيامة؟

قال: نعم، فمن يقضي بينَ الخلائقِ إلا الله عَزَّ وَجَلَّ!

وَفِي الصحيحين. أن رجلًا أتى ابنَ عُمرَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا فقال: كيفَ سمعتَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فِي النجوى؟

قال: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن اللهَ يُدني المؤمنَ يومَ القيامة، حتىٰ يضعَ عليهِ كنفه، يسترهُ مِنْ النَّاس، فيقولُ: أي عبدي، تعرفُ ذنبَ كذا، وكذا؟ فيقولُ: نعم، أي ربي. حتىٰ إذا قررهُ بذنوبهِ، ورأىٰ فِي نفسهِ أَنَّه قد هَلك. قال: فإني سترتُها عليكَ فِي الدنيا، وقد غفرتُها لكَ اليوم».

المؤمن الذي يخاف الله، ويستترُ بذنوبهِ، ليسَ حياءً مِنْ النَّاس، وإنما يستحي مِنْ الله أن يعصيهُ أمام النَّاس.

ما هو إذا خلا انتهك، لأنه لا يُراقبُ الله، لا، يستحي أن يعصيَ الله أمام النَّاس، فيستتر بذنوبه، يسترهُ الله يوم القيامة جزاءً لاستتارهِ بذنوبهِ حياءً مِنْ الله، وتعظيمًا لله أن يعصيهُ أمام النَّاس.

ويُقررهُ بذنوبه؛ أي عبدي، تعرفُ ذنب كذا؟

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كم نحمل مِنْ ذنوب، كم نحمل مِنْ ذنوب. نسأل الله أن يرزقنا التوبة، وأن يغفرَ لنا أجمعين. (اللّٰهمَ آمين).

فالقضيةُ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ عبدهُ يومَ القيامة، وَأَهْلُ السُّنَّة والجماعة جميعًا يؤمنونَ بهذا، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متكلمٌ، ويتكلمُ متى شاء بما شاء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بالحوض، وَأَن لرَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا يَوْم الْقِيَامَة يردُ عَلَيْهِ أُمته، عرضهُ مثل طولهِ مسيرَةُ شهر، آنيتهُ كعددِ نُجُوم السَّمَاء علىٰ مَا صحت بِهِ الْأَخْبَارُ من غيرِ وَجه.

(الشرح)

لا زال الكلامُ عن أصولِ السُّنّة المتعلقة باليوم الآخر، ومن أعظمِ ما يُميزُ أَهْل السُّنَّة: إيمانهم بالغيبيات التي صحت بها الأدلة مِنْ غيرِ شَكٍ ولا تردد، فما دامَ أن اللهَ قالهُ، أو أخبرَ به رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو عندهم حَقّ ويقين.

فمن الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة ويلزم اعتقادها: الإيمانُ بحوض النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عرصاتِ يومِ القيامة، وأنه تردُ عَلَيْهِ أُمتهُ، فيشربُ المؤمنون، وَمَنْ شربَ منهُ لا يظمأُ بعدهُ أبدًا.

ما معنى هذا يا إخوة؟

معنى ذلك: أَنَّه يشرب، ويشرب فِي الجنة، لكن يشربُ شُربَ نعيمٍ لا شُربَ ظمأ. إذا شرب مِنْ حوض النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -نسأل الله أن يجعلنا مِنْ هؤلاء-، لا يظمأُ بعدَ ذلكَ أبدًا. ما هو لا يشرب، لا يظمأ.

فلا يحتاجُ إلى الشُرب ولكن يتنعمُ بالشُرب.

ويُذادُ، ويُطردُ عنه أهلُ الأهواءِ والإحداث.

وأحاديثُ الحوض كَمَا قال العلماء: كثيرةٌ مُتواترة، جمعها النوويُ فجمعَ عددًا، وابنُ كثير فجمعَ عددًا. وجاء ابن حجر بعد الذين جمعوها قبله، فزادَ عَلَيْهَا مثلها. فكان الذين جمعوا قبل ابن حَجر ذكروا خمسينَ

حديثًا، يعني أحاديث كُل حديث لصحابي، ما يتكرر الصحابي، كُل حديث لصحابي. فزادَ عَلَيْهَا ابنُ حَجر ما يقربُ مِنْ مِثلها، فكانت قريبًا مِنْ الستين، وهي متواترة.

❍**قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إني والله لأنظرُ إلىٰ حوضي الآن» متفقٌ عَلَيْهِ.

إذًا ماذا أفادنا هذا؟

أفادنا أولًا: ثبوتَ الحوض.

ثانيًا: أن الحوضَ كان موجودًا فِي حياة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينظرُ إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍**ويقولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إن قدرَ حوضي كَمَا بين أيلةَ وصنعاءَ مِنْ اليمن». أيلة فِي الشام وهذا فِي الشمال. وصنعاء فِي اليمن وهذا فِي الجنوب. كَمَا بين أيلة مِنْ الشام، إلى صنعاء. يعني بسير الراكبِ السريع. وهذا الحديث كَمَا قلنا: متفقٌ عَلَيْهِ.

❍**وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «حوضي مسيرةَ شهرٍ زواياهُ سواء» كَمَا عند مُسلم فِي الصحيح.

ماذا أفادنا هذا؟

أفادنا هذا فِي صفة الحوض أَنَّه مربع، زواياه سواء. هذا شيء هندسي، والآن يقولون المربع متساوي، زواياه سواء. مسيرة شهر فِي مسيرة شهر. طولهُ مسيرة شهر للراكب المُجِد، وعرضهُ مسيرة شهر للراكبِ المُجِد.

❍**وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إن فيهِ مِنْ الأباريق كعددِ نجوم السماء» متفقٌ عَلَيْهِ.

بل عددُ آنيتهِ أكثر مِنْ نجوم السماء، فقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لآنيتهُ أكثرُ مِنْ عددِ نجوم السماء» رواهُ مُسلم فِي الصحيح.

وخذوها قاعدة يا إخوة: إذا ثبتت الأحاديثُ بأعدادٍ متفاضلة فِي شيءٍ واحد؛ فإنه يؤخذ بالأعلى، لا سيما فِي الفضل؛ فإن فضل اللهِ واسع.

وقد قال العلماء: هذا يُحمل بأن الله بَشرَ نبيهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا أن آنيتهُ كعددِ نجوم السماء، وَمَنْ يُحصيها! ثم بشرهُ ثانيًا تاليًا بأن عددَ آنيتهِ أكثر مِنْ نجوم السماء. والحكمة فِي هذا: إدخالُ السرورِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بعدهِ على أُمتهِ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَن هَذِهِ الأُمة تُفتنُ فِي قبورِها، وتُسأَلُ عَن الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَام، وَمَنْ رَبُّهُ وَمَنْ نبيهُ، ويأتيهِ مُنكرٌ وَنَكِير كَيفَ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيف أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وثبتت بها السُّنّة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة، وهي علامةٌ على السُني، ويجبُ عقدُ القلبِ عَلَيْهَا: الإيمانُ بما يكونُ فِي القَبر مِنْ فتنةِ القَبرِ، ومن عذاب القبر، بما دلت عَلَيْهِ الأحاديث، فقد جاء فِي سُنن الترمذي: «إذا قُبرَ الميت -أو قال: أحدكم- أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقان» أسودان أزرقان، هذا يُعبر بها العرب عن شدة السواد، أن سوادهما شديدٌ كأن فيهِ زُرقة.

وهذا ليسَ عيبًا، هذا وصف. «يُقالُ لأحدِهما المُنكر، وللآخرِ النكير» وهذا أيضًا ليسَ عيبًا، هذا اسم. ذاكَ وصفٌ وهذا اسم، وصفهما هكذا، واسمهما هكذا.

«فيقولانِ: ما كُنتَ تقولُ فِي هذا الرجل؟ فيقولُ: ما كان يقول: عبدُ اللهِ ورسوله، أشهدُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن محمدًا عبدهُ ورسولهُ». وَفِي آخر الحديث: «وإن كان مُنافقًا قال: سمعتُ النَّاسَ يقولون، فقلتُ مثله، لا أدري. فيقولانِ: قد كُنا نعلمُ أنكَ كُنتَ تقولُ ذلك» يعني وأنت لا تدري، وإنما تقولُ بلسانِك. «فلا يزالُ فيها مُعذبًا حتىٰ يبعثهُ الله».

وَفِي سُننِ أبي داود عن البراء بن عازبٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه عن الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «فيأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهار، فينتهرانهِ، ويُجلسانهِ» إذًا هما ملكانِ، أسودانِ، أزرقانِ، شديدا الانتهار، اسمُ أحدِهما: المُنكر، واسمُ الآخر: النكير.

قال: «فيأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهار، فينتهرانهِ، ويُجلسانهِ، فيُقولانِ له: مَنْ ربكُ؟ ما دينُك؟ مَنْ نبيُك؟ وهي آخرُ فتنةٌ تُعرضُ علىٰ المؤمن» نسأل الله أن يُثبتنا وإياكم. (آمين). المؤمن لا يزال فِي ابتلاء، لا يزال فِي فِتة، فلابدَ مِنْ أن يُفتنَ المؤمن، يُفتن فِي دُنياه، تمر به فتنة، ثم تمر به فتنة، ثم تمر به فتنة، وآخر فتنة يُفتن بها التي فِي قَبرِه.

«فذاكَ حين يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقولُ: رَبِّيَ الله، وديني الإسلام، ونبي محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي».

وقال فِي العبد الكافرِ أو الفاجر: «ويأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهارِ فينتهرانهِ، فيُجلسانهِ، فيقولانِ له: مَنْ ربُك؟ فيقولُ: هاهِ هاهِ، لا أدري. فيقولانِ له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاهِ هاهِ لا أدري. فيقولانِ: فما تقولُ فِي هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمهِ، فيُقالُ: محمد-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقولُ: هاهِ هاهِ، لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولونَ ذلك. فيقولانِ: لا دريتَ ولا تلوت. فيُنادي مُنادٍ أن كذبَ عبدي».

وَفِي الصحيحينِ مِنْ حديثِ أنسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إن العبدَ إذا وُضعَ فِي قبره، وتولىٰ عنهُ أصحابُهُ، إنهُ ليسمعُ قرعَ نعالِهم إذا انصرفوا، أتاهُ ملكانِ، فيُقعدانهِ، فيقولانِ له: ما كُنتَ تقولُ فِي هذا الرَجُلِ محمد؟ فأما المؤمن: فيقولُ: «أشهدُ أَنَّه عبدُ اللهِ ورسولهُ». وأما الكافرُ أو المنافق، فيقولُ: «لا أدري، كُنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ فيه، فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليت».

☚نؤمنُ بهذا علىٰ وجه الحقيقة، علىٰ ما وردت به النصوص، ونؤمنُ أَنَّه كائن، واللهِ إننا لنقبرُ الرَجُلَ، ثم ننصرفُ مِنْ عِنده، ونحنُ نعتقد أَنَّه يُسأل.

ولا يصح قولُ بعضهم: لا ينبغي أن تقولَ عن المقبور: فإنه الآن يُسأل؛ فإنا ما ندري. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قالَ ذلك لأنه يدري.

☚فنحنُ نقول: واللهِ لندري، «إنه ليسمعُ قرعَ نعالِ أصحابه»، واللهِ إنا نؤمنُ بهذا، ونؤمن أنهُ يُسأل هذه الأسئلة التي ثبتت عن الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈**قال أحمدُ ابنُ القاسم:** قُلْتُ يا أبا عبد الله، تُقرُ بمُنكرٍ ونكير، وما يُروى فِي عذاب القبر؟

قال: نعم، سبحان الله!

يعني كيف تسألني عن هذا! كيف ما أُقر!

سبحان الله! نُقرُ بذلك ونقوله.

قُلتُ: هذه اللفظة (مُنكر ونكير) تقولُ هذا، أو تقول ملكين؟

قال: نقولُ: (مُنكرٌ ونكير)، وهما ملكان. وعذاب القبر.

أي ونؤمنُ بعذابِ القبر.

وقد ثبتَ عذاب، فمن النَّاسِ مُعذبٌ، ومن النَّاسِ منعمٌ.

وقد جاءَ فِي سُننِ أبي داود، فِي حديث البراء رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أَنَّه بعدَ الفتنة، «يُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي، فأفرشوهُ مِنْ الجنة، وألبسوهُ مِنْ الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيهِ مِنْ روحِها وطيبِها، يُفسحُ له فِي قبرهِ مدَ بصره، ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ الثيابِ، طيبُ الرِيحِ، فيقول: أبشر بالذي يَسُرُك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ توعد. فيقولُ له: مَنْ أنتَ؛ فوجهُ الوجهُ الذي يجيءُ بالخير؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الصالح. فيقولُ: يا رَبِّ أقسم الساعة حتىٰ أرجعَ إلىٰ أهلي ومالي».

وقال فِي الرجُلِّ الفاجرِ أو الكافر بعدَ الفتنة: «فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن كذبَ، فأفرشوهُ مِنْ النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيأتيهِ مِنْ حَرِها، وسمومِها، ويُضيقُ عَلَيْهِ قبره حتىٰ تختلفَ فيهِ أضلاعُه، ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثِياب، مُنتنُ الرِيح، فيقولُ: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومُكَ الذي كُنتَ توعد. فيقولُ: مَنْ أنتَ؛ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيءُ بالشر؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيث. فيقولُ: رَبِّ لا تُقم الساعة».

أَهْلُ السُّنَّةِ يؤمنونَ بهذا، ويعتقدونَ أَنَّه كائنٌ على الحقيقة، ولا يسألونَ بكيف؟ كيف يكون هذا فِي القبر. بعضهم يقول: فتحنا القبر ما وجدنا هذا. إذا دخلتم القبر ستجدونه، والله إذا دخلتم القبر ستجدونه. هذا أمرٌ أخفاهُ اللهُ عنا، هذه الحياة البرزخية، لكن مَنْ قُبِرَ وجد. -نسأل الله ألا نجدَ إلا خيرًا. (أمين)-.

☚بل ثبتَ أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعَ بعضَ أصوات المعذبين، وإنا واللهِ لنؤمن ونُصدق أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعَ بعضَ أصواتِ المُعذبين فِي قبورِهم.

قُلْتُ كَمَا قدمت: إن هذه الأصول علامة على أَهْلِ السُّنَّة، فإذا وجدتَ رجُلًا، ولو كان يوصف بأنه عالم، ولو كان يُعظمهُ كثير مِنْ النَّاسِ، إذا وجدتهُ لا يؤمنُ بفتنة القبر، ولا يؤمن بعذاب القبر؛ فاعلم أَنَّه ليسَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، ألقهِ مِنْ القُفة، ليسَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، وإن زانَ كلامهُ عندَ النَّاس، وإن كان كثير مِنْ النَّاسِ يسمعون له، ما دام أَنَّه لا يؤمن بفتنة القبر، ولا يؤمن بعذاب القبر، على ما وردَ فِي الأحاديث؛ فإنهُ لا يكونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بشفاعة النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم، وبقومٍ يُخرجُونَ مِنْ النَّارِ بَعْدَمَا احترقوا وصاروا فحما، فَيُؤْمَرُ بِهم إِلَىٰ نَهرٍ علىٰ بَاب الْجنَّة -كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر- كَيفَ شَاءَ وكما شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وصدقها أَهْلُ السُّنَّةِ، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ علىٰ المُسلمِ أن يعتقدها: **الإيمانُ بشفاعة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

والشفاعة كَمَا تعلمون جميعًا، هي التوسطُ للغيرِ بدفعِ الضُرِ أو جلب الخير.

ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافعٌ مُشفع، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفعُ إلا بعدَ أن يستأذنَ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُشفعُ لمُشرك؛ فهؤلاء الذين يُشركون ويدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ثم يطلبون شفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم يطلبونها مِنْ الله وليسوا أهلًا لها، يطلبونها مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُشركون حتى فِي طلب الشفاعة، هؤلاءِ لا حظَ لهم فِي شفاعة النَّبِيّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➤فوالله إن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفعُ لمُشرك، إلا ما جاءَ عنهُ بالشفاعةِ لعمهِ لتخفيف العذابِ عنه.

➤والشفاعةُ لَا بُدَّ فيها مِنْ إذن اللهِ للشافع، ورضا اللهِ عن الشافع.

➤والمقصودُ مِنْ الشفاعة للشافع: تكريمهُ.

➤ولابدَ فيها مِنْ رضا الله عن المشفوعِ له.

⟲تقولون: المشفوع له، طيب، **أليست شفاعةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر مِنْ أُمته؟**

نقول: بلى والله.

إذًا كيف تقولون: لَا بُدَّ مِنْ رِضا الله عن المشفوعِ له؟

نقول: رضا الله عن المشفوع له بتوحيدِهِ، لَا بُدَّ أن يكونَ موحدًا، فغيرُ الموحد الذي يُشرك بالله الشرك الأكبر، ليسَ أهلًا للشفاعة. قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

إذًا يا إخوة انتبهوا: الشفاعةُ كُلُّها لله، إنما يملكها الله، واللهِ إن نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملكُ الشفاعة، لكنه يُعطىٰ الشفاعة.

مالكُ الشفاعة هو الله، ولذلكَ لا تُطلبُ الشفاعة إلا مِنْ مالكِها، إلا مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تُطلبُ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل طلبُها مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمنعُها؛ لأنه شِركٌ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وشفاعةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع:

- **منها شفاعةٌ خاصة**، وهي شفاعتهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقضاء بين النَّاس، وشفاعتهُ لفتح باب الجنة، وشفاعتهُ لعمهِ أبي طالب أن يُخففَ عنه العذاب.

- **وهناك شفاعة عامة للنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيرهِ ممن يأذن الله له، لكنَ أحظَ النَّاس بالشفاعة العامة المُشتركة هو النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-ومن شفاعتهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعتهُ لقومٍ موحدينَ مِنْ أهل الكبائر، يستحقونَ دخولَ النارِ بذنوبِهم، ولا يعفو الله عنهم، فيشفعُ لهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقبلُ اللهُ شفاعتهُ، فلا يدخلونَ النار، ويدخلونَ الجنةَ ابتداءً.

-وهناكَ أُناسٌ مِنْ الموحدين، يدخلونَ النارَ، فتشفعُ لهم الملائكة، ويُخرج الله مَنْ شاء.

-ويشفعُ لهم الأنبياء عليهم السلام، فيُخرج الله مَنْ شاء.

- ويشفعُ الصالحونَ لأصحابهم، لجُلسائهم الذين كانوا يُجالسونهم فِي الخير، كانوا يُصلون معهم، كانوا يصومون معهم، كانوا يجلسون معهم فِي حِلق العلم، لكنهم فعلوا كبائر استحقوا بها دخول النار؛ فيدخلون النار. فإذا جاوزَ أولئك الصالحون الصراطَ ورأوا أنهم قد نجو، شفعوا لأصحابِهم، وقالوا: يا ربنا إخوانُنا كانوا معنا؛ فيُشفعهم الله، ويُحرمُ الله أجسادهم على النار، ويأذنُ لهم بدخول النارِ لإخراجِ إخوانِهم، فيُخرجونَ مَنْ يعرفون.

ولذلك مِنْ فوائدِ الصُحبة الصالحة: أَنَّه الإنسانَ يرجوا لو زلت به القدم فكان مِنْ أهل الكبائر، وحكمَ الله عَلَيْهِ بالنار، ودخلَ النار، أن يشفعَ له أولئك الصالحون الذين يُجالسُهم.

والجُلساء الصالحون هم أَهْلُ السُّنَّةِ، أما أهلُ البدعة فهم جُلساء سوء، والله أهلُ البِدع ما يجلونَ خيرًا لا فِي الدنيا ولا فِي الآخرة، احرص على أن تُجالس أَهْل السُّنَّة، كُن معهم، وقوي شوكتهم، وكَثِر عددهم؛ فإن فِي مُجالستِهم خيرًا فِي الدنيا والآخرة.

❍**يشفعُ الشُفعاء، ويشفع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللهَ يُخرجُ قومًا مِنْ النار بشفاعةِ محمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواهُ أبو داود والترمذي وابنُ ماجة، وصححهُ الألباني.

❍**وأعظمُ مِنْ هذا أن جماعةً منهم يخرجونَ برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

➤جاء فِي صحيحِ مُسلم أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها، فلا يموتونَ فيها، ولا يحيون»، ها دول مَنْ؟ الكُفار والمنافقون. «ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبِهم، فأماتهم اللهُ إماتة، حتىٰ إذا كانوا فحمًا، أذنَ بالشفاعة، فجيءَ بهم ضَبائِرَ ضَبائِرَ» يعني مجموعات، «فبثوا علىٰ أنهارِ الجنة، ثم قِيل: يا أهلَ الجنة أفيضوا عليهم» فأذنَ الله لهم أن يُفيضوا عليهم مِنْ الماء، «فينبتونَ نباتَ الحِبةِ تكونُ فِي حَميل السَيل».

➤وَفِي الصحيحين، قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النارِ النار، ثم يقولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أخرجوا مَنْ كان فِي قلبِهِ مِثقالُ حَبةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمان».

➤وَفِي حديثٍ طويل عند مُسلم، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: شفعت الملائكة، وشفعَ النبيون، وشفعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين، فيقبضُ قبضةً مِنْ النار، فيُخرجُ منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط»، يعني لم يعملوا خيرًا قط، يزيد على حقيقة الإيمان، وإلا غير المُصلي ما هو مؤمن، وسيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ، ولا يخرج مِنْ النار أبدًا. لكن كان مُصليًا، مؤمنًا مُصليًا، ولم يزد على ذلك. غيرَ مُنكر وغير جاحد، فاستحقَ دخول النار. فيُخرج الله هؤلاء.

والنصوص يُجمعُ بعضُها مع بعض، ولا يُضربُ بعضُها ببعض.

«قد عادوا حِممًا، فيُلقيهم فِي نهرٍ فِي أفواه الجنة يُقالُ له نَهرُ الحياة، فيخرجونَ كَمَا تخرجُ الحِبةُ فِي حَميل السَيل».

كُلُّ هذا مِنْ أصول السُّنّة، ويؤمنُ به أَهْلُ السُّنَّةِ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِأَن الْمَسِيحَ الدَّجَّال خَارج، مَكْتُوبٌ بَين عَيْنَيْهِ كَافِر، وَالْأَحَادِيث الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَن ذَلِك كَائِن.

(الشرح)

لما ذكرَ الأصولَ المُتعلقة بيوم القيامة، ذكرَ الأصلَ أو أصلين مُتعلقين بعلامةِ قيام الساعة؛ فإنَ وقتَ قيام الساعة لا يعلمهُ أحد إلا الله، لكنَ اللهَ جعلَ لذلكَ علامات، ومن أظهرِ العلامات الكُبرى علامتان ذكرهما الإمام هنا.

فمن الأصول التي جاءت بها السُّنّة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: الإيمانُ أن المسيحَ الدجال يخرجُ فِي آخر الزمان.

والمسيح هنا بمعنى الأشد ضلالًا فِي (المسيح الدجال) بمعنى: الأشد ضلالًا. (الدجال) الأشد كذبًا. فهو الأشدُ ضلالًا والأشد كذبًا.

وهو يخرجُ فِي آخر الزمان فتنةً بما أعطاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آياتٍ أقدرهُ عَلَيْهَا ليجعلهُ فِتنة، ليسَ بقُدرته، وإنما اللهُ أقدرهُ ليجعلهُ فِتنة.

وجاء فِي صحيح مُسلم عن عِمران بن الحُصين رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قال: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما بين خلقِ آدمَ إلىٰ قيام الساعة خلقٌ أكبرُ مِنْ الدجال»، (ما) نافية هنا، يعني: ليسَ بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ مِنْ الدجال.

وَفِي روايةٍ لمُسلم: «أمرٌ أكبرُ مِنْ الدجال».

وَفِي صحيح البُخاري: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأنذركموه، وما مِنْ نبيٍّ إلا أنذرهُ قومهُ، لقد أنذرَ نوحٌ قومه» يعني كُل الأنبياء أنذروا، «ولكني أقولُ لكم فيهِ قولًا لم يقلهُ نبيٌّ لقومه، تعلمونَ أَنَّه أعور، وأن اللهَ ليسَ بأعور». هو يزعم أَنَّه الله، «تعلمون أَنَّه أعور، وأن الله ليسَ بأعور».

وَفِي الصحيحين: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ بُعثَ نبيٌّ إلا وأنذرَ أُمتهُ الأعورَ الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعور، وإن بينَ عينيهِ مكتوبٌ كافرٌ (ك –ا – ف – ر) يقرؤها كُلُّ مؤمن قارئٌ أو غيرُ قارئ»، وأهلُ السُّنّة والجماعة ما يشكون فِي هذا، ويؤمنونَ بهذا إيمانًا جازمًا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَن عِيسَىٰ ابْن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام يَنزلُ فيقتلهُ بِبَابِ لُد.

(الشرح)

هذه العلامة الكُبرىٰ الثانية، أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: أن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام سينزلُ فِي آخر الزمان، وذلكَ أن اليهودَ قبحهم الله، أرادوا قتلَ عيسى عَلَيْهِ السلام، فشُبهَ لهم، فقتلوا رَجُلًا ظنوهُ عيسى عَلَيْهِ السلام، وما قتلوهُ يقينا، ولكنَ اللهَ رفعهُ إلى السماء، بعدَ أن استوفى مُدتهُ الأولى فِي الأرض، وهذا معنى (**متوفيكَ**): أي موفيكَ مُدةَ بقائكَ الأولى فِي الأرضِ، ثم سينزلُ عَلَيْهِ السلام فِي آخرِ الزمان.

واللهُ أشارَ إلى أن عيسى عَلَيْهِ السلام مِنْ علامات الساعة: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، وهذا فِي آخرِ الزمان.

➤وأخبرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عددٍ مِنْ الأحاديث بنزوله، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام يطلبُ الدجالَ**» يعني الدجال تعظم فِتنته، ويمكث فِي الأرض أربعين، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع؛ كجُمُعَة، وسائرُ أيامهِ كسائرِ أيامِ النَّاس، ويجوبُ الأرضَ كُلَّها إلا مكةَ والمدينة، يعني فِي داخل حدود الحَرم، وإلا خارج حدود الحَرم سينزلُ فيه. ولذلك ينزل وراء أُحد، وراء جبل أُحد، وإن كانت الآن مِنْ المدينة، لكنها خارج حدود الحَرم، بل جاءَ فِي الروايات أَنَّه يصعدُ على طرفِ أُحد وينظر إلى المسجد النبوي، ويقول: انظروا هذا القصرَ الأبلق، يعني هذا اللون الذي نراه، هذا قصرُ محمد، أو بيتُ محمد.

إذًا المقصود بالمدينة يا إخوة: الحَرم، حدود الحَرم التي سبق وتكلمنا عنها مرارًا، والمقصود بمكة حدود الحَرم.

➤عيسى عَلَيْهِ السلام يطلبُ الدجال لأن الدجال يَفر إذا عرفَ وجودَ عيسى عَلَيْهِ السلام، فقد أخبرنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن عيسىٰ عَلَيْهِ السلام يَطلبُ الدجال حتىٰ يُدركهُ بباب لُد فيقتله**»، وهذا عند مُسلم فِي الصحيح.

➤وروى ابنُ حبان أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقتلُ ابنُ مريمَ الدجالَ بباب لُد**».

وباب لُد فِي فلسطين، قريب مِنْ القُدس.

❍إذًا نبيُ اللهِ عيسى عَلَيْهِ السلام ينزلُ قبلَ قيام الساعة، لكنه لا ينزلُ نبيًا، وإنما هو نبيُ الله عيسى عَلَيْهِ السلام، ولكن يَحكمُ بشريعةِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عَلَيْهِ السلام مِنْ أتباعِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك يُلغز بعض العلماء بهذا، فيقول: مؤمنٌ متابعٌ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل مِنْ أبي بكر؟

المؤمن المتابع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأفضل مِنْ أبي بكر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، هو عيسى عَلَيْهِ السلام عند نزوله؛ لأنه نبيٌّ.

وسبحان الله قضى الله أن يقتلَ مسيحُ الحَقِّ مسيح الضلالة. قضى الله أن يقتلَ مسيحُ الحَقّ الذي هو عيسى عَلَيْهِ السلام، مسيح الضلالة الذي هو المسيح الدجال.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ قَولٌ وَعمل، يَزِيدُ وَينْقص، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَر: «أكملُ الْمُؤمنِينَ إِيمَانًا أحْسنهم خُلقًا».

«وَمَنْ تَركَ الصَّلَاةَ فقد كفر»، وَلَيْسَ من الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَركهُ كُفر إِلَّا الصَّلَاة مَنْ تَركهَا فَهُوَ كَافِر وَقد أَحلَ اللهُ قَتله.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ولا يكونُ الإنسانُ سُنيًّا إلا إذا أتى بها، ويجبُ اعتقادُها: أن الإيمانَ قولٌ وعمل.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ أئمتهم قد اختلفت ألفاظهم فِي التعبيرِ عن هذا، لكن المقصودَ واحد، والمعنى واحد، فالإيمانُ عند أَهْل السُّنَّة: نُطقٌ مع القُدرة، لَا بُدَّ أن ينطقَ بالشهادتين إذا كان قادرًا على ذلك، وإلا ما يكون مؤمن، ولو فعل ما فعل، ما دام أَنَّه لم ينطق لسانه: بأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن محمدًا رَسُول الله، وهو قادرٌ على ذلك؛ فليس بمؤمن.

وأن الإيمانَ اعتقادٌ جازم ليس فيه شك، وأن الإيمانَ عملٌ ظاهرٌ مُصدق، وكُلُّها مِنْ حقيقة الإيمان، لا يُغني واحدٌ عن واحد، فَمَنْ لم ينطق مع القُدرة فليسَ بمؤمن، وَمَنْ نطقَ ولم يعتقد فليسَ بمؤمن؛

كالمنافقين الذين كانوا فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينطقونَ ويُصلون مع الصحابة، وإن كانت الصَّلَاةُ ثقيلةً عليهم، لكنهم لا يعتقدون، بل يعتقدونَ الكُفرَ.

وَمَنْ نطقَ واعتقدَ؛ لأنه أبى أن يعملَ، ما عملَ عملًا صالحًا أبدًا، فليس بمؤمن، وإلا لو لم نقل بذلك لبطلَ تعريفُ أَهْل السُّنَّة للإيمان، وهذا محلُ إجماع.

وَمَنْ تأولَ فِي أعمال الجوارح ممَن عُرفَ بالسُنّة، يُخطأُ فيما ذهبَ إليه، لكن يُعذر؛ لأنه إنما ذهبَ إلى ما ذهبَ إليه بالدليل، ظَنَ أن الدليلَ يدلُ على هذا، ما ساقَ أصولًا فاسدة، وإنما ساقَ أدلة ظنها تدل على ذلك، نحنُ نعلم ونجزم أَنَّه مُخطئ، ولكنا نعذره ونعرفُ له فضله، هذه طريقة أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

وَأَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة متفقون على أَنَّه لَا بُدَّ للإيمانِ مِنْ عملٍ ظاهرٍ واجبٍ يُتقربُ به إلى الله ليُصدقَ الإيمان. لَا بُدَّ مِنْ عملٍ صالحٍ ظاهرٍ واجبٍ يُتقربُ به إلى الله ليُصدق الإيمان. فلابد فِي العمل مِنْ أن يكونَ ظاهرًا واجبًا يُتقربُ به إلى الله؛ لأني سمعت مِنْ بعضهم يقول: مُحال أن يعيش الإنسان ولا يمسح على رأسِ يتيم. هذا بحد ذاته ليسَ قُربة، وهذا أيضًا ليس واجبًا.

ثم اختلفَ أَهْلُ السُّنَّةِ هل هذا العملُ مُعين؟ ما يصدق الإيمان إلا بِهِ؟ أو هذا العمل مُطلق؟ فمن أتى بعملٍ صالحٍ واجبٍ يتقربُ به إلى الله، فقد صدقَ إيمانه.

الإمام أحمد وجماعة مِنْ العلماء يرونَ أَنَّه عملٌ مُعينٌ بذاتهِ وهو الصَّلَاة.

فَمَنْ أتى بالصلاةِ فقد صدقَ إيمانه، وَمَنْ لم يأتِ بالصلاة فإيمانهُ كذبٌ ولو صامَ، ولو تصدقَ، ولو حجَ، ولو فعلَ ما فعل، ما دام أَنَّه لم يأتِ بالصلاة.

وهذا هو الأرجحُ عِندي واللهُ أَعْلَمُ، وهو الذي أعتقده: أن العملَ الذي يُصدقُ الإيمان مُعين، وهو الصَّلَاة، فلا يكونُ مُؤمنًا إلا مَنْ صلى بعدَ العِلمِ والقُدرة.

◄ لَا بُدَّ مِنْ العِلم، لو فرضنا يا إخوة أن أحدًا أسلمَ فِي بلد بعيد، وجد أوراقًا قرأها، اعتقدَ الإسلام، ونطق وقال: أشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن محمدًا رَسُول الله، لكن ما علمهُ أحد، فمات. هذا ما يدخل عِندنا فِي قولنا: إنه ليس مؤمنا؛ لأن هذا مُنتهى قُدرته.

◄ أو مثلًا: أسلمَ بعدَ الفجر، وعَلِم بأن الصَّلَاة واجبة، وعزم على أن يُصلي الظُهر، فماتَ قبل الظُهر، ما قَدِر.

امرأة فِي الأمارات عجوز، أسلمت وبعد ثلاث ساعات ماتت. هذا ما نقول إنه ليسَ مؤمنًا، لكن مَنْ علمَ وتمكنَ فلم يُصلي فليسَ بمؤمن، ما صدقَ إيمانهُ.

والجمهور مِنْ العلماء يرونَ: أن العملَ المُصدقَ للإيمان ليسَ مُعين، فلو أَنَّه مثلًا: ما صلى، لكن صام، كان يصوم رمضان تقربًا، لكن ما يُصلي، وهذا موجود فِي بعض المسلمين، أعني: إذا قُلت المسلمين، العجيب إن بعض النَّاس يعني يتتبع الألفاظ بطريقةٍ عجيبة، يعني مُغرضة، يقولون: يقول المسلمون فِي المُشركين.

إذا قلنا: بعض المسلمين، إذا قلنا المُسلمون، نعني: مَنْ ينتسب إلى الإسلام، وقد يكون عندنا مُسلمًا، وقد يكون عندنا مُشركًا.

فبعض الذين ينتسبون إلى الإسلام، قد يصومون، يُحافظون على الصوم، لكن ما يُصلون.

أنا عِندي هذا ليس مؤمنًا، عِندي أن هذا كافر. لكن عند جمهور العلماء هذا مؤمن؛ لأنه أتى بعملٍ واجبٍ ظاهرٍ مُصدق.

وقد رجحتُ أن ترك الصَّلَاة كُفر، وهذا الذي ذكره الإمام أحمد، وهذا عَلَيْهِ أدلة كثيرة، ذكرتها فِي شروحي الكثيرة المُتعددة، وآخرها فِي شرحنا لكتاب الكبائر للذهبي، فيُرجعُ إليها.

مِنْ عقيدةِ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فِي الإيمان: أَنَّه يزيدُ وينقص، يزيدُ بالطاعات، وينقصُ بالمعاصي، وهذا محلُ إجماع عند أئمةِ أَهْل السُّنَّة.

الإمام مالك كان يعتقدُ هذا بلا شك، لكن جاءت عنه روايتان:

- كان يقول: إن الإيمان يزيد.
- لكن جاءت عنه روايتان فِي جملة (ينقص).

فجاءت عنه رواية أَنَّه كان يقول: (يزيد) ويسكت، ما يقول: ما ينقص. يسكت، تورعًا لأن الزيادة جاءت نصًا، لكن كُل عاقل فِي الدنيا يُدرك أن الذي يزيد ينقص.

وجاءت عنه رواية أُخرى صحيحة صريحة أَنَّه يقول: (يزيد وينقص).

إذًا نقول: لا خلافَ بين أئمةِ أَهْل السُّنَّة فِي أن الإيمان يزيدُ وينقص، ولا خلافَ بينهم فِي قولِ: (يزيد)، وأكثرهم على التصريحِ (وينقص). والإمامُ مالك عنه روايتان، والروايةُ بقولهِ: (يزيد وينقص) صحيحةٌ صريحة، فقد نصَ نصًا على أَنَّه يزيد وينقص.

الرواية الأُخرى سكت فيها عن (وينقص). أما هذه الرواية صرحَ فيها بـ (وينقص) فتُقدم على تِلكَ الرواية.

ومن لطيفِ فقه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أَنَّه استدلَ بقولِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقا» رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح، وذلك أن هذا الحديث يدل على أنَ الأعمال مِنْ الإيمان، وعلى أن الإيمان يكمل وينقص؛ فهذا دليلٌ على الطرفين، على أن الأعمال مِنْ الإيمان، وعلى أن الإيمانَ يزيدُ وينقص.

(المتن)

قال رحمة الله عَلَيْهِ: وخيرُ هَذِه الأُمةِ بعد نبيها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بكر الصّديق، ثمَّ عمر بن الْخطاب، ثمَّ عُثْمَان بن عَفَّان، ويقدمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة كَمَا قدمهم أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم لم يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِك، ثمَّ بعد هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة أَصْحَابُ الشُّورىٰ الْخَمْسَة: عَليُ بن أبي طَالب وطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وعبد الرحمن بن عَوْف وَسَعدُ بن أبي وقاص، وَكُلُّهُم يَصلحُ للخلافة، وَكُلُّهُمْ إِمَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيُذْهَبُ فِي ذَلِك إِلَىٰ حَدِيث ابْن عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا: (كُنَّا نعدُ وَرَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم حَيّ وَأَصْحَابهُ مُتوافرون: أَبُو بَكرٍ، ثمَّ عُمرُ، ثمَّ عُثْمَان، ثمَّ نسكت).

ثمَّ من بعد أَصْحَابِ الشُّورىٰ، أهلُ بَدرٍ من الْمُهَاجِرين، ثمَّ أهلُ بَدرٍ من الْأَنْصَار من أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم علىٰ قدرِ الْهِجْرَة والسابقة أَولًا فأول.

ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم الْقرنُ الَّذِي بُعثَ فِيهم.

(الشرح)

يعني هنا فقط أُنبه على قضية: فِي قولهِ: ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ.

-لكَ أن تقول: (أَصْحَابُ) أي أصحابُ رَسُول الله بعد الذين تقدمَ ذِكرهم.

-ولكَ أن تقول: (أصْحَابِ). بعدَ هؤلاءِ أصحابِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القرنُ الذي بُعثَ فيهم.

وكلا الوجهين صحيح.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ثمَّ أفضلُ النَّاسِ بعد هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم الْقرنُ الَّذِي بُعثَ فِيهم، كُلُّ مَنْ صَحبهُ سنةً أَو شهرًا أَو يَوْمًا أَو سَاعَةً، أو رَآهُ مؤمنًا به؛ فَهُوَ من أَصْحَابه لَهُ الصُّحْبَةِ علىٰ قَدرِ مَا صَحبه، وَكَانَت سابقتهُ مَعَه، وَسمعَ مِنْهُ، وَنظر إِلَيْهِ نظرة، فأدناهم صُحْبَة هو أفضلُ من الْقرنِ الَّذِي لم يروه وَلَو لقوا الله بِجَمِيعِ الْأَعْمَال؛ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذين صحبوا النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم ورأوهُ وسمعوا مِنْهُ، وَمَنْ رآهُ بعينهِ وآمنَ به ولو ساعةً؛ أفضلُ لصحبتهم من التَّابِعين وَلَو عمِلُوا كُلَّ أَعمال الْخَيْر.

(الشرح)

تقدمَ معنا فِي الأصل الأول: أن الصحابةَ هم المُقتدى بهم عند أَهْل السُّنَّة، ثم ذكرَ الشيخ هنا مِنْ أصولِ السُّنّة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، ويجبُ اعتقادُها: تفضيلُ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيرِهم.

فأفضلُ الأُمة بعدَ نبيها: هم صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابيُّ فِي باب التفضيلِ: هو كُلُّ مَنْ لقيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظةً مؤمنًا بهِ، وماتَ على ذلك.

(كُلُّ مَنْ لقِيَ) هذا أفضل مِنْ قول بعض أهل العلم: كُلُّ مَنْ رأى. لأن قولنا: (كُلُّ مَنْ لَقِي) يدخل فيه الأعمى؛ فإن الأعمى يلقاهُ ولا يراه، وهو مِنْ الصحابة، فهذا أدق.

(كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظة مؤمنًا به) لو رآه لحظة، بعض الصحابة كانوا آمنوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم بعيدون عن المدينة، فمرَ بهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحج، فِي طريقهِ للحج فرأوه، ما دام اجتمعَ الإيمان واللُقيا ولو لحظة، حصلت الصُحبة، فِي باب الفضيلة.

فهذا صحابيٌ، وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدمَ على غيرِهِ وفاقَ غيرهُ. وأجمعَ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على أن الصحابة مع تفضيلهم على غيرِهم متفاوتونَ فِي الفضلِ، فكلهم فاضلٌ للفوزِ بصحبة

رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن بعضهم أفضلُ مِنْ بعض، مثل الرُسل يا إخوة كلهم فاضل، لكنَ بعضهم أفضل مِنْ بعض. القُرآنُ كُلهُ فاضل، لكنَ بعضهُ أفضل مِنْ بعض.

فالصحابة يتفاوتونَ فِي الفضل، فأفضل الصحابة أبو بكر، ثم عُمر، ثم عُثمان، وهذا أطبقَ عَلَيْهِ صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم بعضُ أَهْلُ السُّنَّةِ يسكتون، يسكتون اتباعًا للأثر، وبعضهم يزيدونَ عليًّا رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كان يلزمُ الأثر، فكان يقول: أفضل الأمة بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم يسكت.

لكن لا يعيبُ على مَنْ قال: ثم علي.

إذًا توقفهُ رَحِمَهُ اللهُ أو وقوفهُ رَحِمَهُ اللهُ ليس لعدم فضيلة علي رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وإنما اتباعًا للأثر، فقد قال ابنُ عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا: «كنا نقولُ ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أفضلُ أُمة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده أبو بكرٍ، ثم عُمرُ، ثم عُثمان» رواه أبو داود وصححهُ الألباني.

وعند أحمد: «كُنا نعدُ ورسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ وأصحابهُ متواترون: أبو بكرٍ، وعُمرُ، وعثمان، ثم نسكت».

وقد وقعَ خلافٌ بين أَهْل السُّنَّة فِي الأفضل، هل الأفضل بعد عمر، علي ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؟ أو عثمان ثم علي؟

يعني يا إخوة: اتفق أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على أنهم فِي استحقاق الخلافة على الترتيب: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

لكن فِي الفضيلة: اتفق أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة على تقديم أبي بكر، ثم عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ثم وقع اختلاف يسير، فأكثر أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون: ثم عثمان، ثم علي. وبعض أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كانوا يقولون: ثم علي ثم عثمان.

وهذا الخلافُ قد اندثر، وأجمعَ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة على أن ترتيبهم فِي التفضيل كترتيبِهم فِي الخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ثم بعد هؤلاء الأربعة بقيةُ **المُبشرينَ بالجنة** الذينَ شهدَ لهم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فكانوا يسيرونَ فِي الأرض وَالنَّاسُ يعلمونَ أنهم مِنْ أهل الجنة. وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو بكرٍ فِي الجنة، وعُمرُ فِي الجنة، وعُثمانُ فِي الجنة، وعليٌّ فِي الجنة» هؤلاء الأربعة، «وطلحةُ فِي الجنة، والزبيرُ فِي الجنة، وعبد الرحمن بن عوفٍ فِي الجنة، وسعدٌ فِي الجنة» يعني ابن أبي وقاص، «وسعيدٌ فِي الجنة، وأبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ فِي الجنة» رواهُ الخمسة، وصححهُ الألباني.

وأفضلُ العشرة بعدَ الثَّلَاثَة، وإن شئتَ قُل: بعدَ الاثنين، يعني بعد أبي بكرٍ وعمر: أهلُ الشورى الذين اختصهم عُمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه: (عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزُبير بن العوام، وطلحة بن عُبيد الله) هؤلاءِ ستة، أفضلهم عثمان، ثم علي رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ثم بقيةُ الأربعة؛ لأنهم مُبشرونَ بالجنة، واختصهم عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه بالأحقية بالخلافة، وجعلَ الشورى بينهم.

ثم أهلُ بدرٍ؛ «فإن اللهَ اطلعَ علىٰ أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»، وأهل بدر منهم مهاجرون ومنهم أنصار، والمهاجرونَ منهم أفضل مِنْ الأنصار.

المهاجرون مِنْ أهل بدر، أفضل مِنْ الأنصار، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أن المُهاجرين أسبقُ إيمانًا.

والوجه الثاني: أَنَّه فِي النصوص يُقدمُ المُهاجرونَ على الأنصار.

ثم التفضيل بين المهاجرين بحسب الهِجرة والسبق، نقول المهاجرون أفضل، ثم التفصيل بين المهاجرين بحسب الهجرة والسبق.

ثم أهلُ بيعة الرضوان الذينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم بقية الصحابة.

هذا ترتيبُ الصحابة فِي الفضل، وتفضيلهم لا شكَ فيه، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقدمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السابقين الأولين، وقدمَ المهاجرينَ على الأنصار، ثم الفضلَ باتباعِهم بإحسان.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تسبوا أصحابي».

فعن أبي سعيدٍ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوفٍ شيء، فسبهُ خالد رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه، فقال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تسبوا أحدًا مِنْ أصحابي، فإن أحدكم لو أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما أدركَ مُدَ أحدهم ولا نصيفه» مُتفقٌ عَلَيْهِ، واللفظُ لمسلم.

فدلَ هذا على تفضيل الصحابة، نعم وقع خلاف، هل المُقدم أهل بدر أو أهل بيعة الرضوان؟ لكن فِي الجملة الترتيب كَمَا قدمناه.

ثم بعدَ الصحابة أهلُ القرن الأول؛ الذين أدركوا الصحابة وأدركوا قرنَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشرفوا بإدراك الصحابة، وشرفوا بأن كانوا فِي القرن الذي كان فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفقٌ عَلَيْهِ.

يعني إذا تعبتم اقتدوا بي، فأنا أكثركم تعبًا، الذي يُفكر ويتكلم أكثر تعبًا مِنْ الذي يسمع، وهذا التعب نرجو الله عَزَّ وَجَلَّ أن نجدهُ فِي ميزان الحسنات، وأن ينفعنا اللهُ به.

الطالب: أحسنَ الله إليكم، الجملة الأخيرة: (فأدناهم صُحبَةً هو أفضلُ مِنْ القرنِ الذي لم يروه)؟

الشيخ: نعم، قلنا: إن العلماء أَهْل السُّنَّة مُتفقون على أنَ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لحظة، سبقَ النَّاسَ أجمعين فِي الفضيلة، فأدنى الصحابة صُحبة الذي رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، لحظة؛ هو أفضلُ مِنْ صالحي مَنْ بعده، ولو أتى الصالحُ بجميعِ أعمال البِر؛ لأن وزنَ الصُحبةِ أثقل.

والصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم كانوا صالحين، وزادوا على النَّاسِ بفضل الصُحبة، وهذا يحكيه الإمام أحمد إجماعًا لأهل السنة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والسمعُ وَالطَّاعَةُ للأئمة، وأمير الْمُؤمنِينَ الْبَرِ والفاجر، وَمَنْ ولي الْخلَافَة وَاجْتمعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَرَضوا بِهِ، وَمَنْ خرجَ عَلَيْهِم بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ صَارَ خَليفَة وَسُمي أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وماتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، واعتقدها أَهْل السُّنَّة وأجمعوا عَلَيْهَا، وأوجبوا اعتقادها، وميزتهم عن أهل الأهواء: الأصلُ المُتعلقُ بطاعةِ ولي الأمر.

وهذا الأصل يا إخوة مِنْ أوضح الأصول التي تُميز أَهْل السُّنَّة عن أهل البِدعة فِي زمانِنا، مِنْ أوضح الأصول التي تلحظها وتُميز بها أَهْل السُّنَّة: الموقف مِنْ ولي الأمر المُسلم.

مِنْ حقوقِ ولي الأمر، بل هو أظهرُ حقوقه: السمعُ والطاعةُ له فِي غيرِ معصية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وانتبهوا يا إخوة، **السمع معناه:** إلقاء السمعِ والاهتمامُ بما يُقال.

والطاعة معناها: العملُ بما سُمع.

ليسَ كُلُّ مَنْ حُدِثَ سمعَ، فبعض النَّاس لا سمع ولا طاعة، ولا يهتمون بكلام الحاكم المُسلم، وبعضهم يسمعون ولا يهتمون. **وأصلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة السمعُ والطاعة؛ فيُلقي المُسلمُ سمعه لكلامِ حاكمهِ المسلم، ويُطيعُ فِي غير معصية الله عَزَّ وَجَلَّ.**

➤انتبهوا يا إخوة، **ولي الأمر قد يأمرُ بواجبٍ شرعي،** كأن يأمر بالصيام فِي رمضان، فيُطاعُ، ويكونُ أمرهُ تأكيدًا للأمر الشرعي، وقد يأمرُ بتركِ مُحرمٍ دلت النصوص على تحريمه، فيُطاعُ ويكونُ نهيهُ تأكيدًا لنهي الشَّرْعِ.

➤وقد يأمرُ بفعل مُستحبٍ، كأن يأمر مثلًا: بإقامة التراويح فِي رمضان، فيُطاعُ، ويكونُ ذلك تأكيدًا لأمر الشَّرْعِ، لكنه لا يُخرجُ أمرَ الشَّرْعِ عن وصفهِ، فيبقى مُستحبًا.

➤وقد يأمرُ بترك مكروهٍ، فيُطاعُ.

➤وقد يأمرُ بفعل مُباحٍ، فيطاعُ.

➤وقد يأمرُ بفعل مكروهٍ، فيُطاعُ؛ لأنه ليس معصية.

➤وقد يأمرُ بتركِ مُستحبٍ، فيُطاعُ؛ لأنه ليس معصية. لو فرضنا جدلًا أن حاكمًا مِنْ حُكام المسلمين أمرَ بألا تُقام التراويح فِي المساجد، مَنْ شاء يُصلي فِي بيته، إقامة التراويح فِي المساجد مُستحبة، فإذا أمرَ ولي الأمر المسلم بترك المستحب، وجبَ أن يُطاع؛ لأن ترك المستحب ليسَ معصية.

➤وإن أمرَ بترك المُباحِ، لم يُحرمهُ، ولا يستطيع أن يُحرمه، لكن أمرَ بتركهِ. وفرق يا إخوة بين ترك المُباح، وبين تحريم المُباح. تعرفون هذا ولا ما تعرفون؟

الآن يا إخوة، هل أنتم تفعلون كُل مُباح؟ أبدًا، بل المشروع لكم التقليل مِنْ المُباحات، هناك مُباحات ما نفعلها أصلًا، لكن هل يجوز لنا أن نُحرمَ المُباح؟ ما يجوز.

إذًا تركُ المُباحِ ليسَ تحريمًا له، فكون ولي الأمر يأمر بترك المُباح، هذا ليسَ معصية؛ لأن بعض النَّاس يُطنطن الآن يقول: نهيهُ عن المُباح معصية؛ لأنه يُحرمه.

نقول: لَا شَكَّ أن التركَ لا يعني التحريم، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أرادَ عليٌّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أن يتزوجَ بنتَ أبي جهل على بنت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أما إني لا أُحلُ الحرامَ، ولا أُحرمُ الحلالَ، ولكن والذي نفسي بيده، لا تجتمعُ ابنةُ عدو الله مع ابنتِ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فمنعَ عليًا رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، لكن بيّنَ أَنَّه لا يُحرم، فالمنعُ مِنْ المُباح ليسَ تحريمًا له.

إذًا متى لا يُسمعُ لولي الأمر؟

➤إذا أمرَ بترك واجب؛ فلا سمعَ ولا طاعة فِي هذا.

➤أو أمرَ بفعل معصية، فلا سمعَ ولا طاعة فِي هذا.

أولًا: انتبهوا يا إخوة، لا يوجد أحد مِنْ أَهْل السُّنَّة يقول: إن ولي الأمر المسلم يُطاعُ طاعةً مُطلقة. ما فِي أحد أبدًا، كلهم يُقيدون: (ما لم يأمر بمعصية).

هؤلاء الدجالون الكذابون الذين يكذبون على أَهْل السُّنَّة ويقولون: أهل الطاعة المُطلقة، كذابون. أَهْلُ السُّنَّةِ جميعًا متفقون على أن السمعَ والطاعة فِي غيرِ معصية الله، والذي قال هذا هو رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السمعُ والطاعةُ علىٰ الأمر المُسلم فيما أحبَ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمرَ بمعصية؛ فلا سمعَ ولا طاعة» أي فِي هذا الأمر، والحديث فِي الصحيح.

فأهلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كُلُّهم يأمرونَ بالسمعِ والطاعةِ لولي الأمرِ فِي غيرِ معصية الله، حتى لو لم يكن مرضيًا، حتى لو كُنت تكرهه، ولذلك يا إخوة لما جاء الواثق فِي فتنة خلق القُرآن، وقلنا إنه أشعل الفتنة، لكن سبحان الله صرفهُ الله عن الإمام أحمد، ما عذبَ الإمام أحمد لكن قال: لا تسكن فِي أرضٍ أنا فيها.

➤جاء بعض النَّاس إلى بيت الإمام أحمد يشاورنهُ فِي الخروج عَلَيْهِ، على الواثق. وقالوا: إنا نخاف على عيالِنا، ونخاف ما يتوقف الأمر عند هذا الحَد، وهذا يفتن النَّاس فِي خلق القُرآن، وقد أمرَ بأن يُدرس الطُلاب، الأطفال فِي الكتاتيب القول بخلق القُرآن، نخاف على الدين، نخاف على أبنائنا.

قال لهم الإمام أحمد: لا تخرجوا، واصبروا، ونهاهم عن الخروج، وناصرهم ساعة، يقول لهم كلام أَهْل السُّنَّة، يُقيم عليهم الحُجة، خرجوا مِنْ عند الإمام أحمد وقالوا لحنبل ابن إسحاق؛ الذي الإمام أحمد

عمه: اذهب معنا إلى بيت فلان نُريد أن نعقد معه الأمر، مع ما قاله الإمام أحمد ما انزجروا، فذكرَ ذلك لأبيه إسحاق، فقال له: لا تذهب معهم، وتعايا عليهم فإني أخشى أن يكونَ للإمامِ أحمد ذِكرٌ. يعني أنت لو رحت معهم وأنت ابني، وأنا أخو الإمام أحمد، سيُقال: الإمام أحمد معهم وأرسلَ ابن أخيه. ويُذكر الإمام أحمد فِي هذه الفِتنة.

فانظروا يا إخوة كيف بُصُر أَهْل السُّنَّة، فتنة عظيمة وَالنَّاس يقولون: نخاف على ديننا، كيف لزمَ الإمام أحمد وهو الذي أُذي، وكان أبناؤه يرونَ أثر الضرب فِي ظهرِ إلى أن مات، ينهاهم عن الخروج ويُسكنهم ويأمرهم، ويخوفهم مِنْ عاقبة الخروج، ونحو هذا.

إذًا أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة يأمرون بالسمع والطاعة وإن الإنسانُ لا يُحب الإمام لأمرٍ منهُ.

ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وصيتِهِ قال: والسمعُ والطاعة وإن تأمرَ عليكم عبد، لأن معروف أن الحُر لا يقبل أن يتأمر عَلَيْهِ عبد، يكره هذا، ومع ذلك قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السمع والطاعة».

لكن مَنْ هو الأمير الذي يُسمعُ له ويُطاع؟

هو مَنْ وليَ الولايةَ العامة، ولو على بعض المسلمين، ولو بطريقٍ غيرِ مشروعٍ لكن استقرَ له الأمر. مَنْ وليَ الولاية العامة، إما أن يليها على جميع المسلمين، كولاية أبي بكر الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإما أن يليها على بعض المسلمين، ليسَ على كُل المسلمين، كَمَا هو فِي زمانِنا.

فإن وليَ الولايةَ العامة على بعض المسلمين؛ فإن له ما للخليفة العام، وعليه ما على الخليفة العام بالإجماع، وقد نقلَ هذا الإجماع جمعٌ مِنْ علماء السُّنّة.

قلنا: ولو بطريقٍ غيرِ مشروعٍ.

مثلًا: نحنُ نرى أن الديمقراطية ليست طريقًا مشروعًا للحكم، لكن لو وصل بطريق الديمقراطية واستقر له الأمر، أو خرجَ عليهم بالسيف واستقرَ له الأمر؛ فإنه يكونُ أميرًا.

➤**ولذلك قال الإمام هنا:** (وَمَنْ وليَ الخلافةَ واجتمعَ الناسُ عَلَيْهِ، ورضوا به، وَمَنْ ظهرَ عليهم بالسيفِ حتى صارَ خليفةً، وحتى سُميَ أميرَ المؤمنين).

☚وَفِي روايةٍ عنهُ: تكونُ الجُمُعَةُ مع مَنْ غلب، يعني يسير أمير المؤمنين.

☚ ونقلَ يحيى بن يحيى مثلَ ذلك عن الإمام مالك، كَمَا فِي الاعتصام للشاطبي.

☚ وروى البيهقيُ فِي مناقب الشافعي عن حرملةَ قال: سمعتُ الشافعيَ يقول: كان مَنْ غلبَ على الخلافةِ بالسيف حتى يُسمى خليفة، ويُجمعُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فهو خليفة.

وقال ابنُ حجر: أجمعَ الْفُقَهَاء على وجوبِ طاعةِ السلطان المُتغلب، والجهادِ معه، وأن طاعتهُ خيرٌ مِنْ الخروجِ عَلَيْهِ، لما فِي ذلكَ مِنْ حقن الدماء وتسكينِ الدهماء.

فهذا أمرٌ متفقٌ عَلَيْهِ بين أَهْل السُّنَّة، بل مُتفقٌ عَلَيْهِ بين الْفُقَهَاء كَمَا ذكرَ الحافظ بن حجر.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والغزو مَاضٍ مَعَ الأُمراء إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة الْبَرِ والفَاجِر لَا يُتْرك، وَقِسْمَةُ الْفَيْءِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ إِلَىٰ الْأَئِمَّةِ مَاضٍ لَيْسَ لأحدٍ أَن يطعنَ عَلَيْهِم وَلَا يُنازعهم، وَدفعُ الصَّدقَاتِ إِلَيْهِم جَائِزَة ونَافِذَة، وَمَنْ دَفعهَا إِلَيْهِم أَجْزَأت عَنهُ بَرًا كَانَ أَو فَاجِرًا.

وَصَلَاةُ الْجُمُعَة خَلفهُ وَخلفَ كُلِّ مَنْ ولاهُ جَائِزَةٌ تَامَّة رَكْعَتَيْنِ، مَنْ أعادهما فَهُوَ مُبْتَدع تَارِكٌ للآثار مُخَالفٌ للسُنة، لَيْسَ لَهُ من فضلِ الْجُمُعَةِ شَيْء إِذا لم يرَ الصَّلَاةَ خلفَ الْأَئِمَّة كائنينَ مَنْ كَانُوا، بَرهم وفاجرهم، فَالسُّنةُ أَن يُصَلِّي مَعَهم رَكْعَتَيْنِ مَنْ أعادهما فهو مُبتدع، وَيَدينُ بِأَنَّهَا تَامَّة، ولَا يكن فِي صدرك مِنْ ذَلِك شَك.

(الشرح)

يعني مِنْ الأصول التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ: عدمُ الإفتئاتِ على ولي الأمرِ فِي حقوقه، فتؤدى إليهِ حقوقهُ، ومن ذلكَ أنهم يرونَ أن الجِهادَ ماضٍ مع الأُمراء بَرِهم وفاجِرهم، إلى يوم القيامة، والجهادُ منوطٌ بولي الأمرِ، وأن لولي الأمرِ قسمة الفيء، وأن هذا حقهُ، وأن إقامةَ الحدود إلى الأئمة، ليسَ لأحدٍ أن يُقيمَ الحدَ إلا تحتَ رايةِ ولي الأمر، فلا يُقيمُ الحد إلا وليُّ الأمر أو مَنْ فوضهُ ولي الأمر.

- **حتى قال العلماء: لا يُقيمُ الإنسانُ الحدَ حتى على نفسهِ.**
- **كذلك مِنْ حقهم دفع الزكواتِ إليهم إذا طلبوها، فإذا طلبوها تُدفعُ إليهم.**
- **ومن حقِهم أن يُصلى خلفهم،** وتُصلى الْجُمُعَة خلفهم، سواءً كانوا أبرارًا أو فُجارا، وسواءً كانوا على السُّنّة أو على البدعة، ما لم يكفروا.

وتركُ الصَّلَاةِ خلفَ أمة الجور بدعة. فالذين ما يُصلون بحجة أن الإمام جائر، أو مُبتدع، فهؤلاء وقعوا فِي البدعة؛ لأن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم كانوا يُصلونَ خلف الحجاج مع كونهِ فاجرًا، فمن تركَ الْجُمُعَة أو صلاة الجماعة لكون الإمام فاجرًا أو فاسقًا أو مُبتدعًا؛ فإنه لا يكونُ على السُّنّة، ولابد أن يطمئنَ القلبُ بهذا، وأن يعتقدَ أنها صلاة تامة، أما أن يُصلي مع الإمام ويُعيد فِي بيته، هذا خلاف السُّنّة، وخلاف عمل أَهْل السُّنَّة.

لعلنا نقفُ عند هذه النقطة.

بعدَ المغرب إِنْ شَاءَ اللهُ ننتقل إلى حلقة الشيخ عبد المحسن حفظهُ الله عَزَّ وَجَلَّ ونُتم الشرح هناك إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

باركَ اللهُ فِي الجميع، وكتبَ أجرَ الجميع، واللهُ أَعْلَمُ.

وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.